بعض غارات الإسكندرية

الشجاعة والنظام والتعاون

لحضرة صاحب المعالى محمد عبد الجليل أبو سمره باشا

ومدير تموين

هذه حرب كثيرة المفاجآت ، شديدة الويلات . تمتاز عن جميع الحروب قبلها بأن المحاربين فيها هم الجنود فى الميدان ، والمسالمون من السكان ، لا فرق بين هؤلاء وهؤلاء .

ولهذا ينبغى أن يتوافر فى المدنيين كل ما كان يتوافرفى الجنود وحدهم فى الحروب السابقة لأن هؤلاء المدنيين غير بعيدين فى هذه الحرب عن الاصطلاء بنارها . ولست أعنى ان يصبح جميع المدنيين جنودا نظاميين مدربين على الحركات العسكرية والفنون الحربية . ولكن أعنى أن يتدرعوا بما تتدرع به الجيوش المقاتلة من الصفات ، وأهمها فى نظرى ثلاث : الشجاعة والنظام والتعاون .

فقد لفت نظرى عند وصولى الى الاسكندرية عقب الغارة الثانية ، ذلك الذعر المستولى على السكان بشكل جعلهم بعيدين عن التحكم فى أعصابهم . وهذا الذعر الشديد كان سببا فى فوضى شديدة وعرقلة لأعمال الإنقاذ والهجرة على السواء .

وقد يكون للجماهير التى ساقها الذعر الى محطة الاسكندرية بالألوف ، والى الطريق الممتد من الاسكندرية الى كفر الدوار ودمنهور بعض العذر فى هذا الهلع الشديد بسبب جدة هذه الحالة على نفوسهم ومفاجأتها لهم .

ولكن الحزم يقتضى أن نوطن نفوسنا على تحمل هذه الحالة بشجاعة ورباطة جأش ، فلا نكرر مأساة الهجرة المتدفقة بلا روية ولا نظام ، ولا تعود الاسكندرية أو سواها من المدن التى تتعرض لخطر الغارات الى حالة الذعر التى شاهدناها فى هذه المرة ، والتى دعت الطبقة العاملة الى الهرب فشلت الحركة فى الثغر المصرى الأول الذى تتوقف عليه حياة البلاد الى أمد كبير .

ولقد سبب الذعر الشديد والفوضى التى أعقبته متاعب كبيرة للقائمين على شؤون الإنقاذ وشؤون الهجرة .

فأما أعمال الانقاذ فقد كانت بطيئة عسيرة أول الأمر بسبب مغادرة العمال للمدينة وهم أعصاب الحركة فيها .

كان ذلك أول ما لفت نظرى ، ولم نتمكن من تداركه إلا بمضاعفة الأيدى من قوات الجيش المرابط ، ولو بقى عمال المدينة ورجال المقاولين فى أعمال الهدم والبناء لكانت المهمة أسهل والإنقاذ أسرع .

وأما أعمال الحجرة فقد تعرضت بسبب الضغط المتزايد والفوضى الناشئة من ذعر المهاجرين لاضطرابات شديدة ، سواء فى ركوب القطارات والسيارات أو فى استقبال المهاجرين وإعداد الأماكن المناسبة لهم .

وبذلت السكة الحديدية كما بذلت الخدمة الاجتماعية فى وزارة الشؤون الاجتماعية وجمعيات الهلال الأحمر جهودا جبارة فى مواجهة حالة الذعر والفوضى المستولية على المهاجرين حتى استطاعت أن تواجه السيل الجارف من المهاجرين ، وتمكنهم من السفر والاستقرار فى الأماكن التى أعدت لهم . ومع ذلك لم يسلم بعضهم من التعرض للمتاعب والأضرار .

ومما لا شك فيه أن هذه المتاعب كانت تقل كثيرا لو تذرع الجميع بالشجاعة الواجبة واستمسكوا بالنظام اللائق ، ولم يستسلموا للفزع الذى يذهب بأفكارهم ويشوش أذهانهم ويحطم أعصابهم .

وهاهى ذى لندن وبليموث وسواهما من المدن الانجليزية تضرب بالليل والنهار وتتعرض لمخاطر هائلة ، ومع ذلك لم نسمع أن العمال الانجليز أو سواهم تملكهم الذعر إلى الحد الذى ينسيهم النظام والتماسك وضبط الأعصاب ، بل تسير الأعمال كلها سيرها العادى حتى توزيع اللبن فى الصباح .

نعم إن الاستعدادات الواقية أتم هناك من نظيرها فى مصر ، ولكن يجب أن نذكر إلى جانب ذلك عظم المخاطر التى تواجههم والتى لا تقاس اليها هذه الغارات الخفيفة نسبيا على الاسكندرية أو سواها .

على أن هذه التجارب التى مرت بنا أبرزت لنا بعض العيوب فى الهجرة غير المنظمة إلى البلاد الداخلية سواء أكانت فى الريف أم فى المدن .

فأما فى الريف فقد اتضح من تجربة العام الماضى أن كثيرين ممن هاجروا إليه عادوا إلى المدن مفضلين خطر القنابل فيها على خطر الأمراض المتوطنة وسواها وخطر المياه الراكدة والأتربة المتصاعدة وكل ما يشكو منه الريف من متاعب .

وأما الهجرة إلى المدن الداخلية فى هذا العام فقد اتضح أنها ترهق السكك الحديدية إرهاقا شديدا من جهة ، وتعرض المهاجرين لمتاعب شديدة من جهة ثانية ، كما تعرض حياة المدن المهجورة إلى التعطل والتوقف من جهة ثالثة .

أما إرهاق السكك الحديدية فقد كان واضحا من هجرة الألوف المؤلفة المتزاحمة على المحطات فى وقت واحد ولولا أن إدارتها بذلت مجهودات عنيفة فى مواجهة هذه الحالة المفاجئة ، ولكرر هذا الإزعاج فى ليس من مصلحة الدولة ولا مصلحة الجمهور بوجه عام .

وأما تعرض المهاجرين للتاعب فيكفى فى تصوره مشاهدة الألوف التى كانت تتزاحم فى محطات الاسكندرية عند السفر، ومحطات كفرالدوار ودمنهور وطنطا والقاهرة وسواها عند الوصول ، ولم تلتقط متاعبهم عند هذا الحد ، فان توزعهم فى مدن كثيرة وفى أحياء كثيرة وأماكن شتى ، يضاعف فى هذه الأحياء مهمة الهيئات المشرفة على راحتهم وتوفير الغذاء لهم ووقايتهم من انتشار الأمراض .

وفوق هذا فإن عدد المهاجرين يزيد على طاقة المدن التى هاجروا اليها فيسبب ارتفاعا فى أجور المنازل ونفقات المعيشة عليهم وعلى سكان هذه المدن على السواء ويخلق عدم توازن فى توزيع السكان له عواقبه الاقتصادية والاجتماعية .

وأما تعريض حياة المدن المهجورة للتعطل أو التوقف فقد شاهدنا مصداقه فى حركة الأعمال بالاسكندرية بعد الهجرة ، ولولا الأمر العسكرى بعودة العمال لأصيبت الاسكندرية والمملكة كلها بتلف لها ، باضطراب طويل فى نظام العمل .

وعلاج هذه الحال يكون بإقامة المعسكرات المؤقتة من الخيام والأكياب والعشش تمهيدا لإقامة معسكرات ثابتة بجوار المدن المعرضة للخطر والضواحى التابعة لهذه المدن وترحيل السكان اليها ، فهذا العلاج لا يحرم المدن من عمالها وأصحاب الأعمال فيها لقرب مقرهم فى هذه المعسكرات منها وسهولة وصولهم اليها وعودتهم .

وهو فى الوقت ذاته يضمن للمهاجرين الراحة والصحة ، لانهم لا يزدحمون فى مدن نائية ولا يتكدسون فى أحيائها زيادة على سكانها ، بل يقيمون فى جهات خلوية تتخللها الشمس والهواء حيث تستطيع السلطات الإدارية والصحية والاجتماعية أن توفر لهم كل وسائل الصحة والراحة وتكفل تغذيتهم ، وتحميهم من الغلاء المصطنع والاستغلال السيئ الذى لا يسلمون منه فى المدن المزدحمة .

فمن الواجب الإسراع فى توفير الخيام والعشش والأكياب بزيادة الإنتاج فى المحلة الكبرى ودمياط وسواهما من البلاد التى تنتجها تلبية للحاجة الملحة الى إقامة هذه المعسكرات المؤقتة بجوار كل المدن المهددة بالغارات .

على أن هذا الإجراء وسواه من الإجراءات التى تتولاها الهيئات الحكومية لا يكفى ما لم يتحل الجمهور بالصفات السابق بيانها وهى الشجاعة والنظام والتعاون .

فأما الشجاعة والنظام فقد أسلفت الحديث عنهما ، وأما التعاون فهو الصفة التى يجب ظهورها و بروزها فى ساعات الخطر ، فقد لا تحتاج الشعوب كثيرا اليها فى أيام السلم والطمأنينة . أما حين تواجه الأخطار فهى أحوج ما تكون الى هذه الصفة النافعة .

ومما تطمئن اليه النفس أن الخطر ما كاد يواجهنا حتى نهض القادرون ، وعلى رأسهم شخصيات كريمة ، الى رعاية المنكوبين والترفيه عنهم ومدهم بالمعونة .

ولكنا فى حاجة الى المزيد من هذا التعاون ، فان أسماء كثيرة لم يسمع صوتها فى هذه الكارثة القومية ، ولم تتحرك أيديها بالبذل حين يجب البذل ، وذلك أوانه وهنا فائدته .

إن هذا الخطر يهدد الجميع ، فالتبرع والتعاون واجب اجتماعى ودين يؤديه الناجون للصابين . وقد شاهدت مناظر مروّعة لمن ذهب عائلوهم ضحية العدوان أو تحطمت دورهم وضاع متاعهم وباتوا بلا مأوى ولا لباس ولا طعام .

و إن لهؤلاء جميعا لدينا فى عنق كل قادر على المعونة بالتبرع أو التطوع . وهو دين لهم كما هو دين للمجتمع وللوطن الذى يظلل الجميع ، والذى لا يستطيع الصمود للخطر والوقوف للعاصفة إلا بالتعاون الاجتماعى فى هذا الظرف العصيب .

عبد الجليل أبو سمره

" وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ "

(قرآن كريم)